

ملاحم الصديقة زينب عليها السلام في منظار بعض المصادر الإنجليزِيَّة

محمد رضا فخر روجاني^١

الملخص

للمستشرقين في مؤلفاتهم أسلوب و منهج متفاوت فيما يرتبط بالحديث عن الصديقة زينب بنت أمير المؤمنين عليها السلام. فالبعض منهم اختار الصمت تجاهها، مع أنهم تحدّثوا وتحدّثوا في مسائل فرعية و جزئية غير ذات بال. وبعض آخر تحدّثوا و كتبوا باختصار بالغ. وفريق آخر تناولوا جملة مطالب خلطوا فيها الغث و السمين، و ذلك بداعي عدم رجوعهم إلى المصادر الأصلية و المعتبرة، أو كان لهم نوايا غير سليمة، فخرج ما أدلوا به طافحاً بالأخطاء.. وفي هذا المقال نشير إلى بعض من هذه الموارد و نتناولها بالنقد و التقييم.

الإصطلاحات: المستشرقون؛ معرفة الشيعة؛ السيدة زينب عليها السلام؛ رؤية المستشرقين؛ دائرة المعارف الإسلامية.

١. أستاذ مساعد في جامعة قم.

طالما كانت الوقائع والأحداث التاريخية تتمحور حول شخص أو شخصين بارزين مهمين، فتعرف هذه الوقائع وتحدد بهم، ولكن الواقع هو أن هذا الشخص أو الشخصين البارزين يعجزان عن فعل شيء ما لم يحاطا ويؤيدا من قبل السائرين معهما ويضحوا في إطار ما يدعوان إليه. فتراهما لا يستطيعان التأثير في الحركة الاجتماعية والتاريخية.. وإن أثرا؛ فتأثيرهما لا يكاد يذكر.. ولا شك أن أحد أكبر المؤثرين وصناع التاريخ والوقائع التاريخية علي مرقرون والعصور في المجتمع البشري هو من صنع واقعة كربلاء.. فما حصل خلال ساعات معدودة في سنة إحدى وستين للهجرة في كربلاء؛ لم يكن مجرد معركة غير متوازنة القوة بين الطرفين، بل إن محصلة هذا اليوم العظيم قد تركت كل الأثر الفريد في التاريخ وإلى الأبد.. فعاشوا شمس لن تغرب أبداً.. ولا ريب في أن الشمس الساطعة تجسدت في شخص و قول وفعل الإمام الحسين عليه السلام؛ الذي كان المحور الأول والأخير في يوم عاشوراء.. وبهذا؛ لا تجد مهتماً بيوم عاشوراء ولا يلتفت بكلمة إلى شخص سيد الشهداء عليه السلام.. أما أصحاب الإمام وكذا مبلغوا ناشرو رسالته و حقيقة ما جرى في تلك الواقعة؛ فلم نصيبهم ودورهم الكبير في إحياء أمر النهضة الحسينية الخالدة والمشروع الحسيني الكبير..

وإن أحد تلك الشخصيات الجليلة، بل وأكثرها وأعظمها أثراً وتأثيراً؛ هو شخص مولانا الصديقة السيدة زينب بنت علي عليه السلام.. والدراسة التي بين يديك - عزيزي القارئ خاصة بتقييم وتحقيق مدخلين ومتوجهين إلى دراسة دور هذه السيدة العظيمة الوارد في ثلاثة مصادر و كتب إنجليزية... وقد عني واضح هذه الدراسة بمتابعة هذا الموضوع المهم، فوجده ضمن ثلاثة كتب و مصادر إنجليزية فيها مدخلاً عن السيدة زينب عليه السلام، أما بقية موضوعات هذه المصادر؛ فلا علاقة له بهذا الأمر.. والعجيب هو أن مصدراً مثل كتاب (دائرة المعارف الإسلامية) - طبعة لايدن الهولندية الثانية - خال من هذا المدخل الزبني مع إدعاء مؤلفيه حرصهم على جامعته.. وكذا كتاب (دائرة المعارف الإسلامية الموجزة) الذي اكتفى بإدراج عبارة قصيرة جداً أوردت في ذيل المدخل المعنون (زينب بنت علي)؛ والعبارة الموجزة هي: (بنت علي وفاطمة).. هذا

في الوقت الذي عمدت فيه دائرة المعارف المذكورة إلى إيراد مدخل مفصل عن بني أمية و معاوية بن أبي سفيان وأبي هريرة وحسب الحجاج بن يوسف الثقفي .. علماً أن هذا الأخير - وهو لا يقل عن سابقه - هو أحد الوجوه والأشخاص الأشد كراهية والأكثر تعظماً للدِّماء عبر التاريخ. وقد صوّرت هذه الموسوعة وغيرها على أنه مدعاة للمباهات في الثقافة والحضارة الإسلامية!

وهكذا؛ لا يبقى شك في أن هذا (التجاهل الأكاديمي) من قبل من يعرفون بالمستشرقين الموقورين والعنصريين .. ليس سوى فصل من فصول خطة ومؤامرة كبيرة كانت تعتمل في أذهان هؤلاء منذ بداية السُّلطة والسيطرة على البلدان المسلمة .. ومن المؤسف بمكان؛ أن المجتمع المسلم عموماً قد برزت فيه شخصيات لا تحمل من العلم سوى الشهادة الرسمية كانت لدى حرصها على التهريج والدعاية لتلك الوجوه الكالحة الظالمة التي مرّت على السُّلطة في البلاد المسلمة .. كانت تستدلّ وتحتجّ في منهجيتها الجاهلة المتأمرة بنصوص ومنهجية هؤلاء المستشرقين وما دبّجوه من مديح وثناء على سلطات وسلاطين الجور السفاكين للدِّماء والذين كان شغلهم الشاغل تحريف الدين الإسلامي .. وهنا؛ لابدّ من الإذعان إلى أن هذه الموسوعات الثقافية يمكن العثور فيها على بعض نصوص الكتاب يحملون الشرف ويتمتعون بالإنصاف والأمانة والدقة العلمية المحايدة؛ وقد جهدوا في كشف الحقائق .. ولكنهم كانوا يفتقرون إلى المقاعد الرفيعة ووسائل الإعلام والتّشعر ..

ومهما يكن؛ فإنّ من بين المدخلين المتاحين، ثمّ مدخل (قاموس المفردات الإسلامية - أكسفورد) لسنة ٢٠٠٣ م. هو أقصر .. وقد جاء فيه:

«السيدة زينب [عليها السلام] توفيت سنة ٦٨١ ميلادية - ٦٢ قمرية .. كانت تزوجت من عبدالله بن جعفر، وله منها ثلاثة بنين و بنت واحدة. كانت بمعينة أخيها [الإمام الحسين عليه السلام] كان لها دور مهم في المحافظة على حياة ابن أخيها [الإمام علي بن الحسين عليه السلام] وبسبب تضحياتها وبطولاتها لقبت ب بطلة كربلاء».

أمّا المدخل الآخر؛ فمن «دائرة معارف الشخصيات الدينية العالمية» لسنة ٢٠٠٤م، وقد كتبت مقالته «السيدة زينب» والري هافمن .. وقد اقتصرت هذه المقالة على عمود و

نصف، ووصفت السيدة زينب [عليها السلام] بقولها:

سنة ولادتها ٦٣٠ ميلادية تقريباً - سنة ١١ قمرية. وسنة وفاتها ٦٨٤ ميلادية - سنة ٦٥ قمرية. وكتبت عنها صاحبة المقالة: هي حفيذة النبي .. وفي شهر أكتوبر من سنة ٦٨٠ [محرم ٦١ قمرية] وافقت أخاها [الإمام] الحسين [عليه السلام] وأنقذت حياة ابن أخيها [الإمام] علي بن الحسين [عليهما السلام] حتى تمكنت من هذه المهمة، كما أنقذت باقي نساء واقعة كربلاء من الخطر.. وقد اضطرت الحاكم الأموي في دمشق إلى الشكوت بخطبها الثارية والبلغية، هذا في الوقت الذي سيق في نساء واقعة كربلاء أسيرات إلى الشام. ولدى دخولها بلاد مصر حظيت باحترام بالغ، وكانت تدافع عن الضعفاء، وكان حاكم مصر يستشيرها في مختلف الأمور. والمصريون يؤمنون بأن [السيدة] زينب مع أخيها [الإمام] الحسين [عليهما السلام] وكذا الفقيه الشافعي يحظون بمنزلة رفيعة في العرش. وهم يقضون حاجات المحتاجين.. هذا مع أنه جميع المؤرخين لا يذهبون إلى أن [السيدة] زينب [عليها السلام] لم تدخل بلاد مصر، وذلك أن قبرها قد اكتشفت في القرن السادس عشر [العاشر القمري] من قبل الشعراني الصوفي.

ولدى التحقيق وتقييم المقالتين، ينبغي أن يقال:
أولاً: أن المقالتين موجزتان قصيرتان، وأن الأولى أقصر من الثانية، والحال؛ أنه كان من الأجدر بالمطلب أن يتضمنا أكثر مما جاء فيهما.

ثانياً: أن كلا المدخلين متصفان بنقاط ضعف عديدة.. وهو الأمر المشهود في غالب تأليفات الغربيين بخصوص المعارف والتاريخ الإسلامي.. ولعل من أهم أسباب هذه الإشكالات؛ عدم إهتمام المسلمين وإعتمادهم آراء الغربيين.

وما هو مسلم أن ولادتها [عليها السلام] المباركة كانت في المدينة المنورة في السنة الخامسة الهجرية^١ أو في الخامس من شهر جمادي الأولى من السنة السادسة الهجرية^٢ وأن عبد الله

١. محمد باقر بورأميني، جهره هاي در حماسه كربلا (فارسي) قم، بوستان كتاب، ١٣٨٢ ش، ص ١٥٠.

٢. السيد محمد كاظم القزويني، زينب الكبرى من المهد إلى اللحد (قم، ١٤٢٣ ق / ١٣٨١ ش، ٢٠٠٢ م)

ص ٣١. والسيد عطاء الله مهاجراني، بيام آور عاشوراء: برسي سيرزندكي، انديشه و جهاد زينب

بن جعفر لم يطلّقها أبداً حتّى توفيت .. وليس مهماً أين كان ذلك؛ في المدينة أو دمشق أو القاهرة [مصر] وذلك أنّ هذه السيّدة الصّديقة لم تكن من جنس الأرضيّين، وإنّما كانت امرأة سماويّة ملكوتيّة .. كما هم سائر المعصومين من آل البيت النّبوي المقدّس .. وهي - لاشكّ - ستبقى حاضرة في كلّ مكان وفي كلّ لحظة وإلى منتهى التاريخ.

في هذه المقالة؛ لن تكون الإشارة إلى ردّ ونقد المقاليتين اللّتين ذكرنا محتواها .. و لكن داعي نقلهما هنا ليس مجرد الترجمة، وأينما هو بمثابة إنذار، إنذار وتحذير لمحتبي وعشاق حضرات الملكوتيّين، أعني أهل البيت المعصومين (عليه السلام)، ليعوا ويتأكّدوا في أنّ مظلوميّتهم لم تقتصر على عصر بني أميّة أو بني العبّاس، بل هي ممتدّة على مرّ الأيام .. هذه المظلوميّة العجيبة التي أخذت منحني:

- (١) تحريف المثقّفين المغرضين الجّهال بالحقائق أو القليلي المعرفة أحياناً
- (٢) عدم فعاليّتهم وقلة إهتمامهم .. هؤلاء الذين يعيشون تحت مظلة شوقهم ومحبتهم لآل البيت (عليه السلام) .. وليس لهم إلّا التّفاخرو المباهاة بهم.^٢

وجبراً لشيء من مظلوميّة أهل البيت (عليه السلام) في العصر؛ لابدّ من إمتشاق القلم والإفصاح عن الحقائق بمختلف لغات العالم .. وإنّ توقّع خطوة من الغرباء بهذا الصّدّد مضيقه للوقت ولا يعدو أن يكون كهواء في شبك .. على أمل الشّعور وتحمل المسؤوليّات الجسام من قبل النخبة المثقّفة الذين يميّزون أنفسهم وفهمهم عن غيرهم .. وأن يعدّوا المساهمة في خدمة أهل البيت (عليه السلام) فخراً لهم ...

كبرى (فارسي) الطّبعة التاسعة، طهران، إطلاعات ١٣٨٣ هـ. ش، ص ٢٠.

١. يمكن أن يقع بعض المستشرقين في سوء الفهم لدى الاستنتاج، ولكن نظراً إلى جهدهم ومتابعاتهم في المسائل العلميّة وقلة إطلاعهم على المسائل ذات الأهمية القليلة بالنسبة لهم .. ومن هنا، يعد سلوكهم (تجاهلاً أكاديمياً) وإنّ مراجعة سيرتهم والمستويات العلميّة لكثير من المستشرقين يؤكّد جدّيّتهم وحرصهم المحيّر أحياناً لإهتمامهم ببعض الجزئيّات .. وكمثال على ذلك، تراجع كتب نجيب العقيلي (المستشرقون) آري، (المقالات) و (شرق شناختي) والمطالعات العربيّة - الإسلاميّة (لبروكلمان وشرودر).

٢. كتب صاحب هذا المقال مقالاً آخر بهذا الصّدّد؛ (عاشوراء في بعض المصادر الإنجليزيّة) - فصليّة معرفة الشيعة رقم ٢١، ربيع ١٣٨٧ ش، ص ٥٩-٨٢.

المصادر

١. المصادر المنقول عنها والتي بحثنا عنها نقداً.

- Eposito, J.L., ed., The Oxford Dictionary of Islam, New York: Oxford University Press, 2003.
- Glassé, C., ed., The concise Encyclopedia of Islam, 2nd ed., rev., London: Stacey International, 2001.
- Hoffman, V.J., "Zaynab, Sayyida," in Jestice, ed., vol. 3, pp. 636–637.
- Jestice, P.G., ed., Holy People of the World: A Cross-cultural Encyclopaedia, 3 vols, Santa Barbara, CA: ABC-CLIO, 2004.

٢. هذه المصادر، لم يكن فيها مدخل في هذا المضمون.

- Bowker, J., ed., The Concise Oxford Dictionary of World Religions, Oxford: Oxford University Press, 2005.
- The Encyclopedia Americana, International 4th ed., 2002.
- Esposito, J.L., ed., The Oxford Encyclopedia of the Modern Islamic World, 4 vols., New York: Oxford University Press, 1995.
- Gibb, H.A.R. Islam, 2nd ed., Oxford: Oxford University press, 1975: repr. Hyderabad. A.P.: Henry Martyn Institute of Islamic Studies / Oxford University Press, 1979.
- Gibb, H.A.R., and J.H. Kramers, eds., Shorter Encyclopedia of Islam, Leiden: EJ Brill, 1953.
- Hughes, T.P., Dictionary of Islam, London: W.H. Allen. 1885; repr.: New Delhi: Munshiram Mansharlal, 1999.
- Lewis, B., ed., Islam: Faith, People, Culture, London: Thomas and Hudson, 1976; repr. paperback ed., 1992.
- The New Encyclopaedia Britannica, Micropaedia, 15th ed., 1994.
- Ruthven, M., Islam, Oxford: Oxford University Press, 2001.
- Van Donzel, E., ed., The Islamic Desk Reference, Leiden: EJ. Brill, 1994.

٣. مصادر أخرى

- العقيلي، نجيب، المستشرقون، طبعة رابعة موسعة: ٣ مجلدات، القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٠.
- Arberry, A.J. Oriental Essays: Portraits of Seven Scholars, London: George Allen and Unwin, 1960.
- Brugman, J., and F.Schröder, Arabic Studies in the Netherlands, Leiden: E.J. Brill, 1979.



٢٠٨

سازمان اسناد و کتابخانه ملی جمهوری اسلامی ایران